

الفصل الخامس

الرجال الجوف من مكونات المحصول التخيلي الملازم لتعبيرات البياتي فهو يؤكد هذا التفاعل في التجربة الجديدة بحيث لا تكون المسألة مجرد تأثر بل هو تفاعل كامل مع الشعر العالمي يجسد نشاطاً أساسياً في ذاكرة الشعر العربي الحديث.

ويعمق الناقد تصوراتنا النظرية عن تجربة الشعر الجديد ويخصص مقممة كتاب [أساليب الشعرية المعاصرة] لكي يطرح رؤيته النظرية الكاملة حول هذه التجربة.

ويبين لنا في هذه المقدمة كيف نبذ النقد الجديد في جملته طريقة المقاربات المضمونية والأيدولوجية المباشرة، لأن النقد الجديد المحايت للتجربة المعاصرة ينبغي عليه أن ينتهج مناهج مختلفة تتجانس مع المنطق الفكري والفني للتجربة الجديدة. ينبغي للنقد أن يرتاد مجالات علمية حديثة لكي يتمكن من معاينة النصوص ذات الطابع العصري. وطرح الناقد تصوراً جديداً للدخول إلى هذا العالم المتغير مستنداً إلى ما يسمى بـ "علم الأدب" بعده مفهوماً جديداً وليس مجرد علم تحليلي يسير على نمط الرياضيات البحتة، لأنه علم يحمل في طياته وصفاً للأشخاص والأفعال والأشياء وأحوالهم "في إطار المجتمع"، أي أنه يعتمد على وقائع لغوية ذات خصائص اجتماعية وجمالية معاً. ومن خلال الدرس التطبيقي يربط الناقد بين فكرتي التعبير والتوصيل من خلال أدوات المنهجية لكي نفهم التعبيرات الشعرية بواسطة التصنيف الموضوعي للتوزيعات الأسلوبية التي تقوم بوظائفها الديناميكية في تكوين الدلالة الشعرية. يتجاوز ناقدنا أسلوبين كبيرين عرفا في حياتنا النقدية أحدهما يعتدّ بالتعبير والآخر بالتوصيل. ولكن صلاح فضل يؤمن بضرورة التلازم البنوي بينهما في جميع عمليات التنيط الأسلوبية كما يقول.

ويدلل الناقد على أهمية هذا التلازم من خلال رأي [جرباس] في أن هناك درجة كبيرة من تعالق التعبير بالمحتوى. إذ أن الفعل الشعري يتموقع داخل اللوحة النمطية للخطاب، والدال الصوتي يتدخل بتمفصلاته مع المدلول، لكي يحدث نوع من الوهم الإشاري يدعونا إلى التعامل مع الرؤية الشعرية كما لو كانت حقيقية [وفرضية التعالق بين مستوى التعبير ومستوى المحتوى التي تعرف الخصية المحددة للسيمولوجيا الشعرية ينبغي أن تظل لازمة برهانية لجميع الإجراءات التحليلية عنده. فانطلاقاً من الاعتراف بأن الخطاب الشعري في الواقع إنما هو خطاب مزدوج، ينهض في أدائه على كلا المستويين - التعبيري والمضموني - في الآن ذاته، ينبغي أن يتبلور العمل في صنع جهاز مفاهيمي قابل لتأسيس وتبرير الإجراءات الكفيلة بالتعرف على أدوات هذين الخطابين المتحدتين].